شرح ثلاثة الأصول

للإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

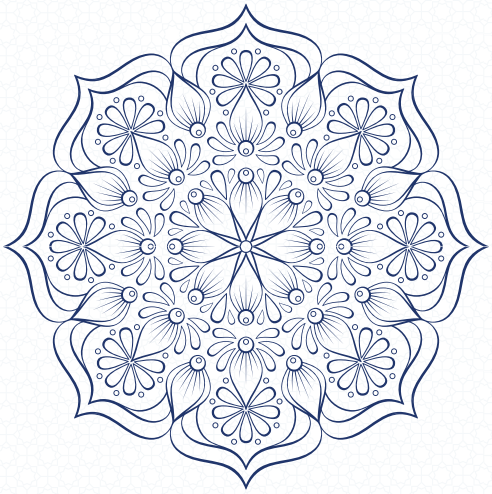

شرح ثلاثة الأصول

للإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[1]

جامع شيخ الإسلام ابن تيمية بالرياض

نسخة خاصة لبرنامج دليل ٢١/ ٣/ ١٤٤٦هـ

(١) **تنبيه**: هذا الشرح مستفاد من عدة شروح لهذه الرسالة لأهل العلم جزاهم الله خيراً، ومن مراجع أخرىٰ، ولم يُراعَ فيه التوثيق العلمي؛ لأن الغرض ابتداءً لم يكن لنشر هذا الشرح، وإنما تم إخراجه بهذه الصورة للتيسير علىٰ طلاب العلم في برنامج دليل، والله الموفق.

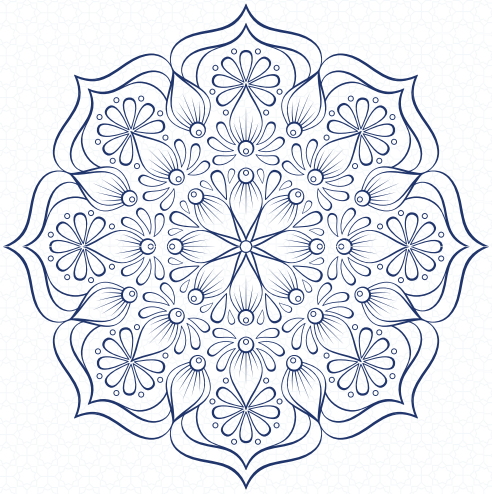

الدرس الثالث

الحمد لله ... أما بعد:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة)

لما فرغ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من الأصل الأول وهو معرفة الرب جل جلاله، شرع في الأصل الثاني وهو معرفة دين الإسلام.

وقوله: (بالأدلة) أي بأدلة الكتاب والسنة، وفيه التنبيه على أنه لا يسوغ التقليد في ذلك، بل لا بد أن تكون معرفته بدين الإسلام بمقتضى الأدلة الشرعية.

فمن أسباب الثبات على الدين في الحياة الدنيا وعند السؤال في القبر أن تكون معرفة العبد بدينه بالحجج من الكتاب والسنة، لأن المقلد عُرضة لأن يضل عندما تَرِدُ عليه أي شُبهة.

(وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله)

هذا تعريف دين الإسلام، وهذا التعريف تضمن ثلاث جُمل:

١- الاستسلام لله بالتوحيد: يعني الذل والخضوع لله تعالى بإفراده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

٢- الانقياد له بالطاعة: فعلاً للأوامر، وتركًا للنواهي، طاعة لله تعالى.

٣- والبراءة من الشرك وأهله: فلا بد أن يتبرأ المسلم من الشرك، ويعتقد بطلانه، ويتبرأ من أهل الشرك، وأن يبغضهم، ويعاديهم أشد المعادات.

وقوله: (والبراءة من الشرك وأهله) هذا المعتمد في تعريف الإسلام من كلام المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وأما عبارة: (والخلوص من الشرك وأهله) يقول الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرحه لهذه الرسالة ص١٦٥: لا أدري من أين أتوا بها. أ.هـ.

ولفظ (البراء من الشرك وأهله) أدلّ على المراد من لفظ (الخلوص من الشرك) لأن الخلوص من الشرك إنما هو خروج عن الشرك وليس فيه معنى البراءة من الشرك وأهله.

ويؤيده أن لفظ (البراءة) هو المناسب للآية التي استدل بها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كما سيأتي ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]

(وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان)

هذه مراتب الدين، ذكرها أولا مجملة، ثم فصّلها، وذكر أدلتها.

ومعنى المراتب: أي الدرجات، وكل واحدة منها أخص من الأخرى، أخصها الإحسان، ثم بعدها الإيمان، ثم الإسلام، وهو أوسعها.

ويُمثِّل لها أهلُ العلم بثلاث دوائر، دائرة صغيرة تمثل الإحسان، ثم دائرة أكبر منها بداخلها الدائرة الصغيرة تمثل الإيمان، ثم دائرة أكبر منهما، بداخلها هاتان الدائرتان وتمثل الإسلام.

فكل محسن فهو مؤمن مسلم، وليس كل مسلم أو مؤمن محسنًا.

وكل مؤمـن فهو مسـلم، وليس كل مسـلم مؤمنا، لكن لا بـد أن يبقى معه إيمان يصحح إسلامه، وإلا كان كافرا أو منافقا.

ولهـذا فقد نفـى الله الإيمان عمن أخـل ببعض واجباته، كمـا في حديث: (والله لا يؤمـن، قالـوا مَن يا رسـول الله، قال: من لا يأمن جـارُه بوائقَه) ونحو هذا الحديث.

(وكل مرتبة لها أركان) الأركان جمع ركن، وهو جانب الشيء الأقوى.

(فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام)

وهـذه الأركان دل عليهـا حديث ابن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الصحيحين: «بني الإسلام على خمس ...» الحديث.

والإسـلام إذا اجتمع مع الإيمان صار الإسـلام يراد به الأعمال الظاهرة، والإيمان يراد به الأعمال الباطنة.

(فدليل الشـهادة) أي شـهادة ألا إله إلا الله **(قوله تعالى:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]**)**

هذه الشـهادة هي أعظم شـهادة في الوجود، فإنها من أعظم شاهد وهو الله سبحانه، على أعظم مشهود به وهو توحيده.

والملائكة يشهدون كما شهد الله تعالى بأنه لا إله إلا هو.

وأولوا العلم كذلك يشهدون، أنه لا إله إلا هو، لما عندهم من علم الكتاب والسنة بذلك، والمراد بالعلم هنا العلم الشرعي.

واستشهاده جل وعلا بملائكته وأولي العلم دليل على فضلهم وعدالتهم، فإنه لا يُستشهَد إلا من كان غاية في العدالة.

وفي الآيـة دليل على فضل العلمـاء، ومكانتهم، والترغيب في طلب العلم، إذ أشـهدهم الله تعالى على أعظم مشـهود به وهو توحيده سبحانه، وقرنهم مع نفسه تبارك وتعالى والملائكة في هذه الشهادة.

قائما بالقسط: أي بالعدل في خلقه وتدبيره، فلا يظلم أحدا.

لا إله إلا هو: أعاد كلمة التوحيد للتأكيد، وذلك لعظم شأن التوحيد.

(ومعناها لا معبود بحق إلا الله) فمعنى كلمة التوحيد: أنه لا يستحق أحد العبادة إلا الله تعالى.

فليس معناها: لا قادر على الاختراع إلا الله. أو لا خالق إلا الله، كما يقوله بعـض المبتدعـة، لأن هذا تفسـير لها بالربوبيـة، ولو كان هذا تفسـيرها لقالها كفـار قريش؛ لأنهم مقـرون بالربوبية، فكفار قريش يعلمـون معنى كلمة لا إله إلا الله. وأنها تنفي عبادة الآلهة التي يعبدونها من دون الله تعالى، ولهذا امتنعوا أن يقولوها، قال الله سـبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْـتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَـاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦] وقال تعالى عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]

وليـس معناها: لا إله موجود إلا الله. لأن الآلهـة الموجودة غير الله تعالى كثيرة، لكنها ليست بحق.

وليس كما يقول التبليغيون: مقصد لا إله إلا الله: إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء، وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله.

ثم بين المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن هذه الكلمة لها ركنان: النفي والإثبات.

(«لا إله» نافيا جميع ما يعبد من دون الله)

الإله: فعال بمعنى مفعول، فالإله هو المألوه أي: المعبود.

(«إلا الله» مثبتا العبادة لله وحده)

فهـذان الركنـان لا بد من اجتماعهما النفي والإثبـات، فالنفي وحده ليس بتوحيـد، والإثبات وحده ليـس بتوحيد، فمن ينفي العبادة عـن غير الله تعالى فقـط، ولا يثبتها لله فليس بموحد، ومن يثبت العبـادة لله تعالى، ولا ينفيها عن غيره فليس بموحد.

(لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه)

يعني كما أنه المتفرد في ملكه، فيجب أن يكون هو المسـتحق للعبادة دون ما سواه، فمن لا يملك لا يستحق أن يعبد.

لأن توحيد الربوبية أقر به جميع الخلق إلا ما ندر، فيحتج عليهم بما أقروا به على ما أنكروه.

(وتفسـيرها الـذي يوضحها) أي والدليل على تفسـير كلمـة التوحيد من القـرآن الكريم الذي يوضحها **(قولـه تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَـرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]) هذا معنـى (لا إله) وهو النفي؛ لأنه قد برئ مـن كل مـا يعبـدون (﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٧]) هذا فيه معنى (إلا الله) وهو الإثبات، ومعنى فطرني أي ابتدأ خلقي.

(﴿فَإِنَّـهُۥ سَـيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَـةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُـمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزخرف: ٢٧-٢٨]) أي وجعل إبراهيم عليه السلام هذه الكلمة: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُـدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] والتـي هي معنى لا إله إلا الله، جعلها باقية في عقبه، لا يزال في ذريته من يدين بها.

(**وقوله:** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤])

هذا الدليل الثاني من القرآن على تفسير كلمة التوحيد، ومعنى ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]: الكلمة تطلق على الجملة المفيدة، أي كلمة عدل نستوي نحن وأنتم فيها.

ثم فسرها بقوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤] هذا معنى: لا إله إلا الله، فدل على أن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [آل عمران: ٦٤] أي أعرضوا عن ذلك، ولم يجيبوك.

﴿فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] يعني صرحوا لهم ذلك بالمشافهة بأنكم مسلمون، وأن دينكم خلاف دينهم.

(**ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨])

(أنفسكم) فيها قراءتان: أنفُسكم أي بشرا مثلكم، ليس بملَك، لكي يتمكنوا من مخاطبته وسؤاله عما يشاؤون من أمور دينهم.

والقراءة الثانية: أنفَسكم أي أكرمكم وأشرفكم، ومن كان كذلك فإن النعمة به على العباد أعظم ممن لم يكن كذلك.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] أي شاق عليه ما يُلحِق بأمته العنت والمشقة.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨] أي حريص على هدايتكم وإنقاذكم من النار.

(ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)

هذا معنى شهادة أن محمدا رسول الله، يعني أنه لا يكفي النطق بها باللسان، بل لا بد من العمل بما دلت عليه، فلو قالها بلسانه، ولم يعمل بما دلت عليه، لا يصير من أهل شهادة أن محمدا رسول الله، كما أن من قال لا إله إلا الله ولم يعمل بمقتضاها لم يكن من أهل هذه الكلمة على الحقيقة.

(ودليل الصلاة، والزكاة، وتفسير التوحيد: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥])

دليل الصلاة والزكاة في الآية واضح، وتفسير التوحيد يؤخذ من قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] والحنيفية: ملة إبراهيم عليه السلام، وهي عبادة الله تعالى بالإخلاص، والحنيف: المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه.

وقيل في معنى الحنيف: إنه المائل عن الشرك قصدا.

وذلك دين القيمة: أي ما ذكر في هذه الآية هو دين الملة القيمة أي المستقيمة.

(ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣])

هذا الدليل واضح، ومعنى كتب: أي الكتابة الشرعية، أي كتب عليكم شرعا، أي أوجب عليكم، وتطلق الكتابة ويراد بها الكتابة الكونية، كما في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

والمراد بالصيام في الآية صيام شهر رمضان.

(ودليل الحج قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]**)**

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٧] أي واجب وفرض لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا.

لأن لفظة (على) تدل على الوجوب.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]: (قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: أي ومَن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه)[١].

(المرتبة الثانية: الإيمان)

أي المرتبة الثانية من مراتب الدين، والإيمان عند أهل السنة: اعتقاد بالجنان أي بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

(وهو بضع وسبعون شعبة) البضع: من الثلاثة إلى التسعة، والشعبة هي الخصلة.

(فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)

هذه الجملة متن حديث عن النبي ﷺ، رواه البخاري ومسلم.

فأعلاها قول لا إله إلا الله: هذا أعلى شعب الإيمان، وذلك أن كلمة الإخلاص هي أساس الملة.

---

(١) تفسير ابن كثير.

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق: من حجر أو شوك ونحوه، وهذا عمل.

وما بين الأعلى والأدنى خصال كثيرة من شعب الإيمان.

والحياء شعبة من الإيمان: الحياء عمل قلبي، يحمل صاحبه على فعل يجمِّل ويزين، ويمنعه من ارتكاب ما يدنِّس ويشين.

وشعب الإيمان متنوعة، منها ما إذا فُقد أزال الإيمان، كشعبة الشهادتين، فمن لم يأت بهذه الشعبة فليس بمؤمن، ومنها ما إذا فقد يزول معه كمال الإيمان الواجب، لا أصل الإيمان، كمن لم يزك، أو لم يصم رمضان.

ومنها ما إذا فقد يزول معه كمال الإيمان المندوب، كإماطة الأذى عن الطريق، فهو مستحب.

وبهذا يتبين أن كل خصلة من خصال الدين داخلة في الإيمان.

(وأركانه ستة) أي أصول الإيمان، التي لا يصح إلا بها جميعا، فمن لم يؤمن بركن منها لم يصح إيمانه.

(أن تؤمن بالله) هذا أعظم أركان الإيمان، ومعناه الإيمان بوحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأن ما عبد من دونه فهو باطل.

(وملائكته) أي الإيمان بجميع الملائكة عليهم السلام إجمالا، ونؤمن بما علمنا في الكتاب والسنة من تفاصيلهم، كجبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، وغيرهم ممن علمنا اسمه وعمله الذي وكله الله به، ونحو ذلك.

(وكتبه) أي بالكتب المنزلة من الله تعالى على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام من السماء، فنؤمن بالقرآن الكريم والتوراة والإنجيل والزبور، وأن القرآن الكريم ناسخ لما قبله من الكتب.

(ورسله) أي الإيمان بجميع الرسل والأنبياء عليهم السلام الذين أرسلهم الله تعالى، سواء من علمنا اسمه ومن لم نعلم اسمه، فنؤمن بهم جميعا، ونؤمن أن محمدا ﷺ خاتمهم.

(واليوم الآخر) أي الإيمان بكل ما يكون بعد الموت، فيدخل في ذلك الإيمان بنعيم القبر وعذابه، والإيمان بالبعث، والحساب، والصراط والحوض والجنة والنار وغير ذلك مما يتعلق باليوم الآخر.

وأهم ما في اليوم الآخر البعث بعد الموت، لأن كفار قريش كانوا يستبعدون أن يبعثوا بعد الموت، بعد أن صاروا رفاتا.

ولهذا جاء في بعض روايات الحديث عند مسلم برقم ٩: «مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ».

(وتؤمن بالقدر خيره وشره)

والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربع مراتب:

١-الإيمان بعلم الله تعالى القديم، فإن الله تعالى قد علم بعلمه القديم ما هو كائن.

٢-الإيمان بالكتابة السابقة، بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما علم أنه كائن.

٣-الإيمان بأن الله شاء ما في الوجود وأراده، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يقع شيء في هذا الوجود إلا بمشيئة الله تعالى.

٤-الإيمان بأن الله تعالى خلق ما في الوجود، وأنه أوجد جميع الخلق، وأن جميع ما في الكون فهو بتقدير الله تعالى وإيجاده.

فلا يكون مؤمنا بالقدر إلا إذا آمن بهذه المراتب الأربع.

(والدليل على هذه الأركان الستة: قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧])

فهذه الآية واضحة الدلالة على خمسة أركان من أركان الإيمان، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي جنس الكتاب، فيشمل جميع الكتب المنزلة، أما الركن السادس، فأفرد دليله بقوله: **(ودليل القدر: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾** [القمر: ٤٩])

(المرتبة الثالثة: الإحسان ركن واحد وهو: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»)

الإحسان أعلى مراتب الدين، وهو إيقاع العمل على أحسن الوجوه في الظاهر والباطن، وهذا لا يكون إلا ممن اتصف بالإخلاص لله تعالى.

وتفسير المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الإحسان وقبله الإيمان وقبله الإسلام هو نص حديث النبي ﷺ، كما يأتي في حديث جبريل عليه السلام.

والإحسان له مرتبتان:

١-أن تعبد الله كأنك تراه: أن تؤدي العبادات التي أمرك الله تعالى بها كأنك تراه، يعني مستحضرا أنك تعاين معبودك، ومن المعلوم أن من يعبد الله تعالى على هذه الحال فإنه سيؤدي العبادة على أكمل والوجوه في الظاهر والباطن.

٢-فإن لم تكن تراه فإنه يراك: يعني فإن لم تعبده على استحضار أنك تراه، فاعبده على استحضار أنه يراك، ولا يخفى عليه خافية من أمرك، وهذه المرتبة هي من مراتب الكمال، لكنها دون المرتبة الأولى.

وتلحظ هنا أنه قال في المرتبة الأولى: كأنك تراه. لأن العبد لا يرى الله تعالى حقيقة عند أدائه العبادة، وإنما يستحضر كأنه يرى ربه جل وعلا، بخلاف المرتبة الثانية فقال: فإنه يراك. لأن الله تعالى يرى عبده حقيقة، ولم يقل: كأنه يراك.

(**والدليل قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨])

هذا الدليل لمرتبة الإحسان، ومعية الله تعالى على قسمين:

١-معية عامة: تقتضي العلم والإحاطة من الله تعالى لعباده.

٢-معية خاصة: تقتضي زيادة على الأولى بالنصر والتأييد والتوفيق.

وجه الدلالة: أن الله تعالى مع المحسنين معية خاصة بالنصر والتأييد والتوفيق، وهذا يدل على فضل المحسنين.

(**وقوله**: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]) الشاهد منه قوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨]

(**وقوله**: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١])

الشاهد منه قوله تعالى: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: ٦١] وهذا يتضمن رؤيته جل وعلا لعباده.

(**والدليل من السنة حديث جبريل المشهور**) هذا الدليل على مراتب الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، وعلى أن أركان الإسلام خمسة، والإيمان ستة، والإحسان واحد.

(عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا». فقال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت») أخرجه مسلم.

فيه أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في الكلام فإن الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة.

(قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)

أي أنه لا يعلم متى وقوعها، وفيه أن من سئل عما لا يعلم فلْيَكُفَّ، ولا يتكلف ما لا علم له به، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ...﴾ [الإسراء: ٣٦])

فما سئلت عنه وأنت تعلم فأجب فيه بما تعلم.

وما سئلت عنه مما لا تعلم، فأجب بـ الله أعلم. ولهذا قيل في (الله أعلم) نصف العلم.

(قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها) أي تلد الأمة المملوكة سيدتها، يعني أن السراري يكثرن، ويلدن من السادة ولدا يكون سيدها؛ لأنه سبب عتقها. وهذا من علامات الساعة.

(وأن ترى الحفاة العراة العالة رِعاء الشاء يتطاولون في البنيان)

العالة: جمع عائل وهو الفقير، (رِعاء الشاء) أي رعاة الغنم.

يعني ترى من كان في حال الفقر الحاجة، تراهم بعد أن وسع الله تعالى عليهم في المال يتطاولون في البناء، وهذا من علامات الساعة.

(قال فمضى، فلبثنا مليا. فقال: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»).

وهذا الحديث حديث عظيم، عليه مدار العقيدة الإسلامية، لتضمنه لمراتب الدين الثلاث.

والحمد لله رب العالمين.